نوفيلا
أحمد مسعد
الصامتون
إبداع

نوفيلا

# الصامتون

أحمد مسعد

إبداع

رسم الغلاف: Ahmed Mosad

تصميم الداخلي : Dina Y Elshaarawi

تعبئة ورابط إليكتروني : Dina Y Elshaarawi

فريق عمل

إبداع

للنشر الإلكتروني

## إهداء

إلى العزيزة "نورا" أهديكي تلك القصة كجزء بسيط من محاولاتي العبثية للتعبير لكي عن مدى امتناني لوجودك الدائم لدعمي.. كوني قوية.. علّ الألم يكف عن مطاردتك.

# مقدمة

هذه الحكاية التي على وشك أن أنقلها هي واحدة من التدوينات المظلمة التي عثرت عليها على شبكة الإنترنت المُظلم..

أرى أنك تحمست بمجرد سماعك لاسم "الإنترنت المظلم" فقد خلقت قصص الرعب هالة غريبة ومعلومات مغلوطة حوله، على أي حال حكاية اليوم هي حكاية من الملفات القصصية السوداء على شبكة الإنترنت المظلم قرأتها وأعدت كتابتها حتى أنقلها لكم عسى أن تصل إلى

الجميع، عسى أن يصل إليكم آنين الصامتون.

إنّ أفظع أنواع الألم هو الذي نعجز عن الصراخ مُعبرون عنه

# ١- عبـيط

- البقاء لله يا استاذ براء.. والدك وولدتك اتوفوا في حدثة عربية من شوية.

صدرت تلك الكلمات المتتالية المقبضة من فم ضابط الشرطة الواقف أمامي على الباب ليتعطل عقلي لحظتها، شفتا الضابط تتابعان التحرك لكني لا أسمع أي أصوات تخرج من بينهما، الجيران من حوله يتجمعون لكني عاجز عن تميز وجوههم، أشعر بالأرض تميد من تحتي فأسقط

راكعًا على ركبتاي، هناك شلالات من الدمع تفيض من عيني، يمكنني الشعور بها فوق خدي، كما يمكنني الشعور بأيادي كثيرة تحاول أن تشدني عن الارض، الرؤية ضبابية تمامًا، لم تعد أي من حواسي تعمل، لا أعرف ما حدث بعدها لكن ذلك كل ما أذكره من ذلك اليوم، وحين عدت إلى أرض الواقع أدركت أن حياتي قد تغيرت تمامًا، لا.. بل.. بل انتهت.

*****

حين كُنت طفلًا في الرابعة أصبح جليًّا للكل أنني لست طفلًا طبيعًا بالمرة، فكرة راحت أمي تهرب منها لسنوات وهي تشاهد الأطفال في سني ينمون ويتقدمون في الأحجام والقدرات بينما تقدمي يظهر متأخرًا إذا ما قُرن بهم، طوال أربع سنوات كان الأطباء يطمئنون أمي بأن حالتي شائعة عند الكثير من الأطفال، وأن قدراتي التخاطبية ستتحسن مع الوقت، لكن لم يكن في إمكانها الهروب من الحقيقة أكثر من ذلك، أنا لست على ما يرام،

تطلب الأمر حوار صريح ومؤلم بين أبي وأمي أقنعها أبي خلاله بوجوب التوجه لطبيب مختص يتابع حالتي ويُخضعني للعلاج اللازم، وهذا ما حدث بالفعل في اليوم التالي مباشرةً.

بعد عدد من الزيارات للطبيب المختص طمئن الطبيب أبي وأمي بأنني لا أعاني من أي مستوى من مستويات التأخر العقلي، فقط أنا هزيل ونموي بطيء عن باقي أقراني، وسأحتاج للكثير من الجهد حتى تتحسن قدراتي التخاطبية، وبالفعل

وخلال عام واحد كُنت قادر على التحدث بشكل جيد نسبيًا رغم أن الكلمات تخرج مني متقطعة أحيانًا وغير واضحة، لكن وعلى الرغم من ذلك، ظل الكثير من أفراد عائلتي والجيران يتعاملون معي وكأنني متخلف عقليًا، الكثير من التلميحات الخبيثة والضحكات الساخرة، التي لم اكن أفهمها، وتدريجيًا راحت تنتقل الكلمات والأفعال من الأهل للأبناء، فبدأ الكثير من الأولاد يتعمدون اثناء لعبنا ايقاعي على الأرض والسخرية مني، وإذا

حصل واشتكيت أو بكيت يتحلقون حولي ويبدؤون في الدوران مشيرين إليّ وهم يرددون في صوت واحد:

" العبيط أهو.. العبيط اهو.. العبيط أهو.."

*****

" العبيط أهو.. العبيط اهو.. العبيط أهو.."

أصوات الأطفال الساخرة مني تتردد في عقلي بلا توقف، فأحاول أن أطردها من عقلي وأقاومها، لكن محاولاتي جميعها تفشل، إلى أن أنجح في النهاية من

الاستيقاظ، أفتح عيني دون أن أتحرك قيد أنملة من فوق السرير، أبدأ رويدًا رويدًا في استيعاب العالم من حولي واسترجاع احساسي بالواقع فأشعر بالدموع الساخنة التي تسيل فوق خداي، هناك حزن كبير يعتصر قلبي من آثر الحلم يجعلني غير راغب في الحراك، على الرغم من مرور كل تلك السنوات ووصولي لسن العشرين لا زلت أحلم بسخريتهم مني حتى يومنا هذا، شيء في داخلي دفعني للنهوض من سريري والتوجه إلى أمي كما اعتدت حين

ينتابني شعور الحزن، جريت نحو غرفتها هي وأبي بسرعة وأنا أناديها: أمي.. يا أمي..

هناك فكرة سوداء تطاردني أحاول طردها من عقلي بينما أتوجه نحو غرفة والداي، حين وصلت لباب الغرفة توقفت، وبدأت نبضات قلبي في التسارع بينما أنظر للباب، أنادي بصوت واهن "أمي" فيجيبني الصمت، وتتعاظم الفكرة السوداء أكثر داخل عقلي، أفتح الباب بهدوء، صوت نبضات قلبي أعلى من صوت صرير

مفاصل الباب، تنكشف غرفة النوم أمام عيني والسرير الفارغ الذي يتوسطها، فأصدم بالحقيقة التي أحاول الهرب منها طوال الأسبوع الماضي، لقد رحلا وتركاني وحيدًا، لم يخفف عني أحد ألمي بعد الآن، لم يعد لي سند في تلك الدنيا، انهرت على الأرض أمام الغرفة واستئنفت بكائي الذي بدأته في أحلامي.

*****

حين أصبحت في عمر السادسة تم إلحاقي بالمدرس الإبتدائية، ولم يكن الوضع هناك

أفضل مما سبق، نفس الإهانات وأصناف التنمر يتم ممارستها عليّ من قِبل الطلبة، وزاد الطين بلة سخرية الأساتذة مني ونعتي بالعبيط وأحيانًا بـ(بتاع ربنا) لم أكن أفهم في البداية ما يعنونه ببتاع ربنا حتى أدركت أنها تعني إهانة لا تقل سوءً عن عبيط، كرهت الدراسة والمدرسة، وآثر ذلك بكل تأكيد على مستواي الدراسي، الذي راح يتراجع ويتراجع، ليثبت للجميع بما فيهم أبي وأمي عبائي وعبطي، وما هي إلا أعوام قصار حتى توقفت

محاولاتهم عن اثبات العكس، ولم يعد استمراري في الدراسة أمر مُجدي، فكان قرار جلوسي في المنزل حتميًا، وفي الحالات المشابهة يلجأ الأهل إلى تعليم الابن الغير متعلم صنعة أو حرفة ما حتى يكسب منها لقمة العيش، لكني كُنت الابن الوحيد.. المدلل.. حبيب أمه.. ولم يكن هناك مجال للتفكير في تَركي وحدي لمواجهة الحياة، وخصوصًا بعد أن ثَبت لديهم عبطي، فشببت كشخصية ضعيفة اتكالية تعتمد على أهلها في كل شيء،

ومهاراتي الاجتماعية أضحت في الحضيض، لكني لم أكن عبيطًا، أو هذا ما أدركته في ما بعد، أنا أفهمهم جيدًا، أستطيع أن أتعلم أي شيء مهما افترضوا صعوبته بالنسبة ليّ، أدرك تمامًا كل تفاصيل قصص المسلسلات الكارتونية المدبلجة التي أشاهدها على التلفزيون، وأستطيع أن أعرف السمين من الغص، ورغم تقطع كلماتي إلا أن صوتي الداخلي فصيح كفصاحة مؤدي الصوت في الأفلام الكارتونية المفضلة لدي.

أنا لست عبيطًا، لست كذلك الفتي المدعو(بودا) الذي يسرح في الشوارع طوال النهار ليضايق المارة ثم يفترش الثرا ليلًا، أنا اعي وأفكر في أفعالي وأدرك مبدأ الثواب والعقاب، حولت في فترة مراهقتي أن أتحدث معهم في هذا، حاولت أن اثبت لهم أنني لست بعبيط، لكن لساني خذلني كالعادة، فلم يأخذوا كلماتي على محمل الجد، بكيت في ذلك اليوم من شعور العجز الذي تملكني، فرفعت يدي

للسماء كما علمتني أمي في صغري وناجيت الله قائلًا:

- اللهم أحلـ لـ لـ ل عقدة من لـ لسـ ساني.. ليفـ فـ فهموا قولي.

******

- ياررب.. خدني ليهم مبقتشـ ش قادر على الحيـ ياة من غـ غيرهم.

طوال الفترة التي تلت موت أبي وأمي لم يفارق هذا الدعاء خاطري ولساني، فالحياة بدونهم شديدة القسوة والصعوبة، ولا أملك

من دونهم سوى الله، الذي يبدو أنه قد نسى أمري مُنذ زمن ولم يعد يسمع دعواتي، لم يظهر حتى الآن أي أُقرباء أو أهل أو.. أمل.. لم يكن هناك سوى عم (محسن)، جارنا الطيب الذي أعرفه منذ صغري، عم محسن عامل في أحد المستشفيات الخاصة، أرمل ولم يكن يعول يعول سوى بنتيه اللتين تزوجتا تباعًا، ويعيش الآن وحيد يخدم نفسه بنفسه، فلا عجب من كونه طباخ شديد المهارة، وقد عرفت تلك المعلومة من الأكل الذي يحضره لي بشكل

يومي طوال الأسبوعين الماضيين، لا أعرف اي شيء عن الطبخ، ولم أجرب أن أسلق بيضة حتى من قبل، لذلك كُنت شديد الامتنان له، ولكن.. إلى متى؟.. إلى متى سيستمر ذلك الرجل في الرأفة بحالي ومدي بالطعام؟.. وإلى متى سيصمد المبلغ البسيط الذي تركاه ليّ والداي قبل رحيلهما؟.. وما مصيري ومستقبلي؟.. أسئلة راحت تدور في قرارتي دون إجابات إلى أن آتى عم (محسن) ذات يوم

حاملًا إجاباتها، مع صينية بطاطس باللحم المفروم.

*****

- بص يابني.. انت مش هينفع تفضل قاعد كده مقضي حياتك من غير ولا شغلة ولا مشغلة.. فلوس والدك الله يرحمه قربت تخلص ولازم تشوف شغلانة علشان تقدر تعيش وتقف على رجلك.. وانت ما شاء الله شاب كبير مأنتش صغير يعني.

استغرقت بعض الوقت حتى أستوعب كل تلك الكلمات التي خرجت دفعة واحدة من فم عم (محسن) قبل أن أبتلع الطعام الذي كُنت أمضغه وأقول:

- شـ شـ شغل؟.. بس أنا مبعـ عرفش.

قال عم (محسن) بينما يعبئ لقمته بمحتويات الصينية ويهز رأسه: اه فاهمك فاهمك.

دفن اللقمة في فمه وتابع الكلام أثناء مضغه للطعام.

- مأنا علشان كده هساعدك.. في إنك تلاقي شغلانة.. بص.. أنا شغال في المشرحة اللي تبع المستشفى الخاصة اللي عندنا في المنطقة هنا.. عارفها؟

كان الغباء جليّا على ملامح وجهي ففهم أن الإجابة لا فأردف:

- مش مهم.. هبقى أوريهالك.. بص.. هناك بقى في الوردية بتاعتي كان في شاب بيقف حراسة على الباب يراقب أي حركة جنب المشرحة..

لأن مدخل المشرحة بعيد عن العيون

والحتة هناك بتبقى قلق وكده..

فهخدك معايا تشتغل بداله لأنه مشي

أول امبارح.. ورزقك على الله..

ويمكن تظبط معاك ونشوفلك واحدة

غلبانة وبنت حلال زيك كده وتتجوز.

- أتجوز!

نطقت الكلمة مع مزيج من مشاعر خوف

وصدمة وتعجب واستغراب، فالزواج

شيء مجهول الماهية والتفاصيل بالنسبة

لي، لا أفهمه ولا أفهم أسبابه وشروطه،

ولم اتخيل نفسي يومًا متزوجًا وعندي أولاد صغار.. أولاد صغار!.. أنا نفسي ولد صغير.

اضطررت للموافقة مبدئيًا.. كنت أدرك أن هذا هو الحل الوحيد لتستمر حياتي وإلا ساموت هنا من الوحدة والجوع.. نعم أريد أن ألحق بأبي وامي.. لكن ليس بتلك الطريقة.. أنا أخاف الجوع والتعب.

كُنت خائفًا ومترددًا وعقلي كلساني يعجز عن معالجة القرار بشكل صحيح،

وكعادتي في تلك المواقف بكيت، وناديت أمي علها تسمعني، ولأول مرة مُنذ وفاتها أشتم رائحتها، وأحس وجودها، وأشعر بدفئها يحتضنني، وبيدها توضع فوق كتفي لتربت عليه، لم أكن أتوهم، لقد كانت أمي بجواري ليلتها، فاطمئننت ونمت.

******

## ٢ـ مشرحة

حين كنُت في السادسة عشر حكت لي أمي عن الطفل الغريب الذي كنته، كانت إذا تركتني ألعب وحيدًا تعود لتجدني أضحك وأتمتم بكلمات غير مفهومة وكأن هناك شخص معي يلاعبني، ظنت في البداية أن تلك هي طبيعة الأطفال ولم تعر الأمر اهتمامًا، وأرجعته إلى خيال الأطفال الجامح الذي لطالما سمعت عنه، حتى حدث شيئًا جعل أمي تدرك أن ما يحصل معي لم يكن طبيعيًا بالمرة.

في أحد الأيام آتت إحدى صديقات أمي من مرحلة الجامعة لزيارتنا في المنزل، فلاحظت أمي خوفي من تلك الصديقة ونفوري منها، بل ونظري نحوها في رعب وخوف مع البكاء دون أي سبب، ولم تكن تلك طبيعتي مع الأغراب كما تقول أمي، فلقد كُنت ودودًا جدًا مع الغريب قبل القريب، لكن معاملتي لتلك الصديقة كانت استثنائية، وقد آثرت ردات فعلي على ملامح صديقة والدتي وجعلتها

تتوتر، وتهم بالمغادرة في أول فرصة سمحت بذلك.

بعد تلك الزيارة بفترة عرفت أمي ان صديقتها تلك تعاني من حالة مرضية غير مفهومة رجح البعض انها مس شيطاني، وقد مرت تلك المرأة بفترة علاج روحي وديني طويلة حتى تتخلص من ذلك المس، حينها بدأت أمي تربط الأمور ببعضها البعض وتشعر الخوف من تصرفاتي التي كانت ترأها في البداية عادية، فلجئت لأحد

الشيوخ الموثوق في نزاهتهم حتى تحكي له مخاوفها فكانت إجابة الشيخ:

- بص يابنتي.. اللي فهمته منك إن ابنك ده غلبان من بتوع ربنا( لم تكن أمي في تلك الفترة قد اقتنعت بفكرة كوني عبيط أو متأخر عقليًا لذلك ضايقها كلام الشيخ لكنها لم تعقب وتركته يتابع) والناس اللي زاي دول بيكون مكشوف عنهم الحجاب..

بيشوفوا حجات وبيحسوا بحجات لا يمكن للإنسان العادي إنه يحس بيها،

وده لإن أروحهم بتكون نقية وشفافة على عكسنا.

عرفت أمي أن كلام الشيخ منطقي ويفسر الكثير، لكنها في نفس الوقت كانت تحاول أن تطرد فكرة تأخري العقلي من دماغها، وتطرد معها اي احتمالية في أن اكون بالفعل أتعامل مع أشياء لا يجب لبشري أن يتعامل معها.

حين كبرت قليلًا كففت عن التحدث مع الفراغ والتأمل فيه، فارتاح قلب أمي

وتناست الفكرة تمامًا، لا أذكر بالفعل إذا كنت أتعامل مع أشياء غير بشرية في طفولتي، لكني أؤمن أن هذا ممكن، ففي كل مكان أدخله حتى يومنا هذا، أشعر بهم حولي في كل مكان، نحن لم نكن وحدنا على هذه الأرض يومًا، هم حولنا دائمًا.

******

في اليوم التالي من عرض عم (محسن) عليّ العمل معه في المشرحة ذهبت في تمام الساعة الخامسة مساءً لأستلم العمل،

توقعت أن أقابل بعض الموظفين وأن يُطلب مني تعبئة بعض الأوراق ببياناتي، وكل اجراءات البالغين التي لا أفهمها ولا استوعبها، وأقول البالغين لأنني لا اعتبر نفسي من البالغين على الرغم من أنهم يقولون ذلك، لكن كيف؟.. أنا أقصر وأصغر من أن أكون منهم، ولا أفهم كيف يفكرون ويتصرفون.

لم يحدث أي شيء مما توقعت، لقد تم تعييني بمجرد ان وصلت دون أي تفاصيل، فقط كُتب عم (محسن) كل

بياناتي في ورقة وقدمها لإدارة المستشفى مع صورة من بطاقتي الشخصية، ثم تسلمت العمل في وردية الليل بداية من الساعة السادسة مساءً وحتى السادسة صباحًا، في بداية الوردية وقف عم (محسن) معي لمدة خمسة دقائق ليشرح لي طبيعة المكان والعمل فيه.

- "بص يا براء يا بني.. في شوية حجات كده لازم تعرفها الأول عن الشغل هنا، وكده كده باقي التفاصيل هتفهمها واحدة واحدة تمام؟"(هززت

رأسي بينما استطرد هو)"المستشفى دي مِلك لدكتور خالد، وده واحد من أشهر جراحين البلد، عيلته كلها دكاترة لحد سابع جد، فانت ليك الشرف إن انت شغال هنا، دكتور خالد بيجي هنا المشرحة كتير، ممكن أحيانًا تلاقيه خارج منها رغم إنك مشفتهوش داخل، ده لأن المشرحة ليها مدخل تاني من جوه المستشفى دكتور خالد بس هو اللي مسموح له يخش منه عامله تقريبًا للطوارئ،

مهمتك هنا ببساطة إنك تراقب اللي رايح واللي جاي، وتتأكد إن مفيش أي مشاكل أوقلق، كده كده المنطقة دي هادية وبعيد عن الدوشة وفين وفين عقبال ما عربية بتعدي من هنا، ولو في مسعفين جايين بجثة جديدة ولا حاجة تساعدهم يطلعوها، فالموضوع مش صعب، محتاج اي حاجة دلوقتي.

هززت رأسي أن لأ، فهز رأسه هو الأخر واستدار مغادرًا نحو مبنى المستشفى

الرئيسي، وبقيت أنا وحدي أتأمل المكان من حولي.

الجو بارد والرائحة هنا مقبضة ومثيرة للغثيان، لكن يمكن تحملها والتأقلم معاها، المشرحة تطل على شارع خلفي مُظلم لا تمر منه السيارات إلا فيما ندر، فلقد مرت ساعتين مُنذ جلست هنا ولم تمرّ سيارة واحدة، الليل يُصبح أكثر إظلامًا، بدأت أشعر بالملل، ملل مصحوب برغبة في النوم، انكمش جسدي فوق الكرسي وبدأت أستمد الدفئ من ذاتي، جفناي ينسلا بهدوء

فوق مقلتاي، و يصحب ذلك بعض من التثاءب و.. والرغبة في أن أغفو.. و.. و..

*****

- ورد.. تشتري ورد؟

انتبهت للصوت الذي يخاطبني وكُنت قد غفوت لبعض الوقت في مكاني فنظرت نحو صاحبة الصوت لثوان قبل أن أدرك أنها فتاة صغيرة، هادئة الملامح.. تتميز بعينين بنيتين بلون اللوز وبشرة سمراء

قليلًا، تزدان بنغازتين على الخديين، ملابسها رثة.. مرقعة في بعض الأماكن وممزقة في أماكن أخرى، كانت تمد يدها نحوي بوردة من ورود كثيرة معها وهي تبتسم وتكرر سؤالها:

- تشتري ورد؟

أجبرتني ابتسامتها المبهجة على الابتسام أنا الاخر وسألتها:

- انتي ميـ ين ياأمووررة؟

- أنا نورا(أجابت دون أن تخفض ابتسامتها)

- وايه اللي جـ جابيك هنا يا نُـ نورا؟(سألتها مرة أخرى)

- نصيب.. دي حجات مبنخترهاش.

أجابت إجابتها الغريبة تلك دون أن يتغير شيء في تعبيرات وجهها وجسدها.. فعدت استفسر في فضول:

- طب ليه؟.. مبتبعـ يـ يش ليه الوررررد في وسط العربيات زاي البيعين الصغيريـ يـ ين اللي زيـ ك؟

- كنت ببيع قبل كده في الإشارات وسط العربيات والزحمة.
- وليه لأ دلوقتي؟
- مابين الحياة والموت حجات كتير بتتغير.

لم أفهم ما عنته بكلماتها تلك، فقط عقدت حاجباي بينما استدارت هي مغادرة من أمامي دون كلمة أخرى، راحت تمشي وتمشي في الظلام إلى أن اختفت وسط ضباب الليل.

*****

فتحت عيني فألفيتني متسطح الظهر فوق سطح صلب، وأنظر نحو السقف، أنا في مكان مُظلم به ضوء ضعيف يقاوم للصمود أمام سطوة الظلام، حاولت أنا أقوم من نومتي فاكتشفت أنني مقيد إلى السطح الصلب الذي أستلقي فوقه، جزعي عاري، وشفتاي ملتزقتان ببعضهما البعض، حاولت أن أحرك فمي حتى أطلب النجدة فشعرت بألم في كل خلية من خلايا وجهي، وكأنني قد صُعقت بالكهرباء،

أحدهم يقترب مني، طبيب.. عرفت ذلك من البالطو الأبيض المدرج بالدماء الذي يرتديه، لكني لم أتبين ملامح وجهه بوضوح، فقط تبينت ملامح وجهه، وتبينت ابتسامته المرعبة بركن فمه، بالإضافة إلى المشرط لامع النصل في يده، وبدون سابق إنذار قام بغرز المشرط في صدري!..

أشعر بالألم لكني عاجز عن الصراخ، عاجز عن فتح فمي، هناك شيء يمنعني!..

أشعر بلحم فمي يتمزق، أإن.. وجسدي يرتعش من قوة الألم، طعم الدم يُغرق فمي

وحلقي ويكتم أنفاسي، محاولات الصراخ تزيد ألمي فتزيد معها رغبتي في الصراخ، مد يده داخل صدري بعد أن أنهى شقه، ثم أخرج من داخلي شيء بحجم تفاحة وبلون تفاحة حمراء ناضجة، شيء ينتفض باستمرار ككائن حي، وصل الألم إلى أقصى حدوده، فتجسد في صرخة واحدة خرجت مني، خرجت مليئة بالدم.

*****

قَمت مفزوعًا من مكاني وروحت أتلفت حولي قبل أن أصطدم بعم محسن الواقف أمامي ينظر لي بعينين متسعتين وهو يقول في رعب: "مالك يابني بتترعش ليه؟!.. إهدى إهدى.. لا إله إلا الله.

مرت ثوان قبل أن أدرك أن ما مررت به كان حلمًا ثم رددت: "ولا حاجـ جة ياعم محسن.. حلمت حلم ووحشـش."

- " لا يابني مش هينفع خالص تنام في الوردية.. لو حد من إدارة المستشفى شافك أو عرف.. مش هيعذروك..

فخليك مصحصح الله يكرمك.. يلا فوّق كده علشان الوردية قربت تخلص.

إنتهت الليلة بعدها وعدت مع عم محسن إلي البيت، وفي اليوم التالي ذهبت إلى الوردية في الموعد تمامًا، ولو علمت مُسبقًا ما سأرى ليلتها، ما كُنت لأخطو خارج شقتي أبدًا..

******

## ٣- نـــاي

في الليل وبينما أنا في مكاني على باب المشرحة، سمعت صوت يناديني من داخل المشرحة، لم أتبين ماهية صاحب الصوت لكنني تبينت اسمي "براء"، خمنت أنه ربما يكون عم (محسن) يناديني لضرورة ما فدخلت إلى مبنى المشرحة كانت المرة الأولى التي أدلف فيها إليه، تبعت الصوت إلى الدور الثاني فلم اجد صاحبه!.. فجأة ظهر من العدم صوت ناي ضعيف، قادني فضولي لتتبع الصوت فوجدتني أمشي في

ممر جهة اليمين ثم ممر جهة الشمال حتى وصلت إلى ممر طويل ينتهي بغرفة ذات باب معدني خاص، الممر خالي ولا يوجد به أحد، لكن صوت الناي لا يزال يتردد في أذني، بل ويصبح أقوى، والمصدر هو الباب المعدني الذي كُتب عليه (ثلاجة أ) تتبعها كلمة (ممنوع الدخول).

مشيت بتؤدة نحو الباب وأنا أنادي بصوت خافض: "عم محسن.. عم محسن انت جوه؟"

لا مُجيب، فقط صوت الناي يدفعني للاقتراب فضولًا، أصبحت أمام الباب وصرت على يقين أن صوت الناي يأتي من داخلها، الباب المعدني مفتوح، أزحته بهدوء ودلفت كالمندوه مسلوب الإرادة، خطوة والثانية ووجدت نفسي أقف وسط مكان مليئة بالأدراج المعدنية المصفوفة وفي وسط ذلك المكان يوجد عدد من السرائر المعدنية، مع الكثير من الدماء فوقها وعلى الأرض، هذه ثلاجة الموتى!

توقف صوت الناي، وسمعت صوت طرقة من أحد الأدراج فإلتفت نحوه متحفزًا، فبُغت بطرقة أخرى من درج أخر فإلتفت مرة أخرى، ثم بدأت الطرقات تتصاعد من كل الأدراج.. وتتزايد.. وتتصاعد!

امتقع وجهي من هول ما أسمع وما أرى، الموتى مستيقظون.. الموتى مستيقظون.. جريت نحو باب الثلاجة الذي دخلت منه، لكني وفي طريقي تعثرت في شيء ما، لم أقف حتى لأنظر إلى ماهية الشيء الذي تعثرت به، بل وجهت بصري مباشرة نحو

الباب الذي كان أملي في الخروج من هذا الجحيم المظلم، لكن الباب كان قد أُغلق علي فرأيت شيء لم أكن لأتخيل في حياتي أن أراه.

كانت فتاة.. فتاة تجلس على الأرض أمام الباب وظهرها ملتصق به، ربما ملتصق ليست الكلمة المناسبة، لقد تم تخيط لحمها في الباب المعدني حرفيًا،شعرها منسدل أمام وجهها وفي يدها رأيت ناي، ناي ربما يكون هو مصدر الصوت الذي سمعته.

زحفت إلى الخلف على إليتيّ من أثر الرعب وأنا لا أبعد بصري لحظة عنها، فرفعت رأسها قليلًا لينزاح الشعر عن وجهها وتظهر ملامحها جلية، لقد كان وجهها هو أسوء كوابيسي مجسدًا، وجه أزرق، وفراغ أسود في موضع العينين، أما عن فمها فكان مخيط بخيوط سوداء وتنزف الدماء من مواضع الغرز في وجهها.

لقد فقدت القدرة على التنفس والحركة، هل ترأني؟.. هل تنظر لي؟.. مع عدم وجود

عينين يُصبح من الصعب التأكد، مدت يدها بالناي الذي تمسكه بقبضتها الصغيرة نحوي، فتوترت أكثر، وأضحت الدنيا مشوشة، قبل أن يظلم العالم، وكأن أحدهم قد فصل الكهرباء عن عقلي.

*****

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. كانت فكرة مهببة يوم ما فكرت أجيبك هنا.. قوم.. قوم يابراء يابني متجبليش مصيبة.

أعادني صوت عن (محسن) غلى عالم الواقع ففتحت عيني بينما أحاول أن أقيم ظهري ثم سألتبعقل مشوش: أنا فين؟

رد: "فين ايه يابني.. انت ايه اللي جابك هنا ودخلك المشرحة أصلًا؟"

انتبهت إلى أنني بجوار باب الثلاجة، فتدفقت كل الأمور المرعبة التي مررت بها إلى عقلي مجددًا، فقبضت على يده كطفل مذعور وقلت بنبرة مذعورة:

- "أنا سمعت صوت جاي من جوه المشرحة دي.. ولما دخلت كانت الدنيا ضلمة.. وشفت بنت صغيرة شكلها يخوف أوي."[1]

تجمدت ملامح وجه عم محسن قبل أن يقول وهو ينظر نحوي بنظرة تجسدت فيها معاني التوتر والقلق:

- "بلاش يابراء تيجي جنب المشرحة تاني.. كل عيش وسبني أنا كمان أكل عيش."

[1] بداية من تلك النقطة سيتم تصحيح تقطع كلمات براء حتى يسهل قراءتها

- عم محسن.. انت ياللي اسمك محسن.

إلتفت أنا وعم (محسن) إلى المنادي صاحب الصوت لنجده شاب في الثلاثينات تقريبًا يرتدي بالطو أبيض، ويتمتع بذقن أملس وملامح وجه حادة مع عينين تشعر وانت تنظر إليهما وكأنهما ثقبين أسودين، بمجرد أن لمحهه عم (محسن) نظر إلى الأرض وهو يجيب بسرعة:" أيوة يا داكتور تحت أمرك؟"

سأله الشخص الذي عرفت انه دكتور بلهجة شعرت فيها بالإزدراء والإهانة موجهان نحو عم (محسن):

- "ايه يا محسن الزفت انت اطرشيت؟!.. أنا مش ناديت عليك كذا مرة.. المفروض من أول مرة ترد."

حاولت عم (محسن) الاعتذار لكن الرجل وجهه نظره نحوي وسأل بغيظ واضح:"مين ده؟"

رد عم (محسن): "الحارس الجديد يا داكتور"

- " و مش واقف تحت يشوف شغله ليه؟"

ردّ عم (محسن) مدافعًا عني: معلش أصله تعب شوية زاي ما حضرتك شايف..

وبعدين ده واد غلبان وملوش في المشاكل(أدار عم محسن وجهه نحوي وقال محاولًا الابتسام): "ده دكتور خالد ابن دكتور فؤاد صاحب المستشفى الله

يرحمه.. يلا يابراء اجري على تحت بسرعة شوف شغلك."

هززت رأسي ثم توجهت إلى الأسفل لأمر بجوار المدعو خالد مضطرًا، فلمحته يبتسم بركن فمه ويتمتم:"وأحسنلك متطلعش هنا تاني."

عدت إلى مكاني أمام باب المشرحة أتذكر ما رأيت داخل الثلاجة وأنا أرتعش من الرعب، أو ربما من البرد فلقد كانت ليلة شديدة البرودة، هل ما رأيته كان حقيقيًا أو ربما هو حلم، أو وهم.. ربما انا عبيط حقًا

وأتوهم أشياء غير معقولة، أريد أن أعود إلى بيتي، لا أريد أن أبقى في هذا المكان أكثر.

- متفكرش كتير في اللي شفته.

انتبهت إلى صوت محدثي فوجدتها (نورا)، الطفلة الصغيرة التي قابلتها البارحة تبيع الورد، بمجرد أن رفعت نظري نحوها أردفت:

- اللي شفته مش كفاية علشان تفهم.

ماذا تقصد؟!.. هل تقصد ما رأيته في الـ..

- "مش هتشتري مني وردة؟"

قالتها فجأة وهي تبتسم ابتسامة هادئة بينما تمد يدها نحوي بوردة من من مجموعة الورد التي بحوذتها، فنظرت نحوها مستغربًا ثم أخذني الفضول لأسأل."هو انتي مبتروحيش أماكن تانية؟"

- "أصل قلبي متعلق في المكان ده"

- "مش فاهم برضو!"

أشارت نحو الجانب الأخر من الشارع المُظلم وقالت:" اسألهم وهما هيفهموك"

نظرت نحو الجهة التي أشارت إليها فوجدت ما يتجاوز العشرة أطفال يقفون بجوار بعضهم البعض ولا يظهر من تفاصيلهم أو ملامحهم أي شيء، فقط أمكنني تبيّن ملابسهم الرثة المرقعة بصعوبة شديدة في ظلام الطريق.

سألتها:"دول صحابك؟"

فردت أغرب رد توقعته: "دول الصامتين"

نظرت إليها مجددًا فوجدتها تبتسم وتمد يدها لي بالوردة مرة أخرى قائلة وقد

تغيرت نبرة صوتها تمامًا: "خد الوردة دي هدية مني ليك.. بس المرة الجاية هتدفع تمنها.. اتفقنا؟"

ابتسمت لابتسامتها ومددت يدي أتناول الوردة من يدها، وبمجرد أن أخذتها وقبل أن أشكرها سمعت صوت المدعو دكتور (خالد) يناديني:

- انت ياللي اسمك براء.

انتبهت عيني إلى مصدر الصوت ثم عدت بطرف عيني أنظر نحو (نورا) لأجدها قد اختفت!

ظهر أمامي بعدها الدكتور (خالد) من حيث لا أدري فانتفض من مجلسي، نظر إليّ بغضب واستحقار وهو يقول:

- " بص بقى يا عم براء.. لو ناوي تكمل هنا.. يبقى تقعد هنا زاي الصنم.. ولا تشوف ولا تتكلم.. وكده كده التانية تقريبًا موجودة، متعملش

حاجة غير إنك تراقب المكان وتتأكد إن مفيش حد غريب هيقرب منه.. انت متعرفش أهمية المكان اللي انت قاعد فيه.. فلو عايز تفضل بخير.. بلاش تقرب من جوه.. اللي بيدخل جوه.. بيدخل بئذني.. سواء عايش.. أو ميت."

كدت أن أبكي أمامه لكني تجلّدت ولم أنطق بكلمة، وقف أمامي قليلًا ينظر إلى جسدي المرتعش وكإنما يستلذ بألمي، ثم مشى، لم أعد أفهم شيء، الكثير من

الأمور غير مفهومة ومبهمة، والناس تمتلئ قلوبهم بالكراهية والتعالي، ربما لهذا السبب أبعدني أبي وأمي عن ذلك العالم.

بعد أن انتهت الوردية عدت إلى البيت بصحبة عم (محسن) ومعي الوردة التي أعطتني إياها (نورا)، بمجرد ان دخلت إلى الشقة، وضعت الوردة على الكومود المجاور لسريري ثم قفزت إلى فراشي وغصت في نوم عميق..

*****

## ٤-وردة

صوت الناي.. صوت الناي في أذني من جديد..

ألفيت نفسي في مكان هو في وصفه للجنان أقرب، اللون الأخضر والورد من كل لون يحطونني، السماء من فوقي زرقاء، وأشعة الشمس كالمرهم فوق الروح، في وسط هذا المشهد الخلاب شجرة كبيرة، تُظل بظلها فتاة، تمسك بالناي وتعزف، اقتربت أكثر منجذبًا للصوت فوجدتها بائعة الورد.. نورا!

فجأة رأيته يقترب من بعيد، كيان أسود ذو هيئة شيطانية، مع كل خطوة يتقدمها فوق الارض، تحمر االسماء كالدماء، بينما تسود الأرض من تحته، وكأنه وباء يمشي، ظل يتحرك حتى وصل إلى نورا الجالسة اسفل الشجرة فتوقفت عن العزف، جذب الناي من يدها وكسره بيد واحده كعود الثقاب، ثم أمسكها من رقبتها ورفعها عن الارض، لم تصرخ، لم يخرج منه سوى صوت الأنين، اسودت الشجرة وذبلت وتساقطت أوراقها، هناك مجموعة

من الخيوط ظهرت من العدم وبدأت تخترق جلد ولحم وحهها لتربط شفتيها الصغيرتين ببعضهما البعض.

الاسوداد في الارض ينتشر حتى وصل إلى الأرض أسفلي، الأرض تهتز وأهتز أنا الأخر معها، قبل أن تنشق الأرض وتبتلعني.

استيقظت من ذلك الكابوس لأجد أنني في سرير داخل شقتي، فاطمئنت قلبي، ثم تنامى إلى سمعي صوت خطوات قادمة من خارج الغرفة ليعيد إليّ شعور الرعب

من جديد!.. خطوات ثقيلة.. وئيدة.. تعلوا.. وتقترب.. حتى شعرت بها عند باب غرفتي، انكمشت في سريري وتظاهرت بالنوم خوفًا من أن يكون لصًا، أصبحت الخطوات بجوار سريري، تقترب مني، اختلست النظر في الظلام إلى صاحب الخطوات ورايته، فتمنيت حينها لو كان لصًا، كان صاحب الخطوات الفتاة التي قابلتها في الثلاجة، صاحبة الفم المخيط والعيون الفارغة والشعر والشعر المنسدل، وزاد عليها وجود فراغ كبير في منتصف

صدرها، كتمت أنفاسي حتى لا أصرخ بينما أنظر إليها وهي تمد يدها نحو سطح الكومود وتلتقط الوردة الموضوعة فوقه، قبل أن توجه وجهها نحوي، لم أصرخ.. لم اشهق رعبًا، فقد شعرت بقلبي وقد اختفى نبضه حينها.

قفزت مفزوعًا من فوق السرير والعرق يغرقني، لأجد أن كل ذلك اختفى، لا فتاة ولا محاجر عيون فارغة ولا أفواه مخيطة، وفي هذه المرة أدركت أنني استيقظت بالفعل، لست في حلم أخر.

لكني انتبهت لشيء جعل الشك في الواقع من حولي يعود، الوردة التي تركتها فوق الكومود قبل أن أنام قد اختفت!.

******

في ذلك اليوم وبعد ذلك الكابوس أصبحت خائفًا من الجلوس وحدي في الشقة، فطرقت باب العم (محسن) وانتظرته حتى تجهز ثم توجهنا معًا إلى المشرحة مبكرًا عن موعدنا، حين وصلت كان الشاب الذي يعمل بدلًا مني في وردية النهار لم يغادر بعد، فاستغليت ذلك وجلست معه حوالي

النصف ساعة أروي فضولي من ظمأ الأسئلة التي لدي.

- هو أنا كنت عايز أعرف.. هو ليه الشاب اللي كان شغال في الوردية بتاعتي ساب الشغل؟

رد عليّ الشاب الذي كان يُدعى (يوسف):

- "والله علمي علمك.. احنا ما بين يوم وليلة لقيناه اختفى.. محدش يعرف عنه حاجة.. حتى أهله ميعرفوش عنه حاجة.. ده حتى كتر خيره

دكتور خالد اداهم فلوس كتير أوي بتاع ربع مليون جنية كده.. مكأفاة نهاية الخدمة."

وجهت إليه سؤال أخر وقد ترددت قليلًا وأنا أسأله:

- "طب هو في بنت صغيرة بتعدي هنا من قدام المشرحة علطول بتبيع ورد؟.. في حد بيعدي هنا أصلا في العادة؟"

حدق إليّ بعض لُحيظات قبل ان يجيبني بنبرة قلقة:"

- "لأ.. بس من ساعة ما اشتغلت هنا أسمع عن حجات غريبة كتير.. وده العادي.. ماحنا شغالين في مشرحة كلها ميتين.. بس في حكايات من الأهالي اللي حوالين المستشفى هنا.. بتقول إن العيلة دي ملعونة."

- عيلة ايه؟(سألته مستفسرًا عن مقصده)

تلفت حوله أولًا حتى يتأكد من عدم سماع أحد لنا قبل أن يرد:

- "دكتور خالد وأبوه وجده.. المستشفى موجودة هنا من زمن الزمن.. كان كل واحد بيورثها من التاني.. طول عمرنا نسمع إن عندهم فلوس متلتلة.. ونفوذ كبيرة في البلد.. بس الغريبة واللي بدأ الناس الكبيرة يحكوا فيه الفترة اللي فاتت.. إن محدش منهم كان بيعيش أكتر من ٥٠ سنة.. بعدها بيموت ويجي ابنه يورثه.. مهو

دكتور فؤاد ميت السنة اللي فاتت..
ومسك بعديه ابنه خالد.. بس سبحان
الله الاتنين تحسهم فولة واتقسمت
نصين.. دكتور خالد نسخة من أبوه
الله يرحمه."

لم أجد شيء غريبًا أو مريبًا فيما يقوله (يوسف)، أو ربما لم أفهم، تكلمنا في بعض الأمور العامة عنه وعني وعن المستشفى وكان شخصية لطيفة نادرًا ما أقابل مثلها ولم يعلق طوال كلامنا على تقل كلماتي ولم يسخر مني، فاكتسبت

صداقته، وحين إنتهى وقت ورديته المحدد غادر وهو يبتسم لي ابتسامة بشوش، لأستلم أنا مكانه.

جلست كالعادة وحدي أتامل الشارع الخالي بينما الليل يغزو كل بقعة فيه بينما أفكر.. هل هذا هو العالم الخارجي؟!.. هل هذه هي طبيعة الأمور؟ أم أن ما يحصل غريب بالفعل؟.. أشياء عديدة لا أفهمها، قطع مبعثرة وغير مترابطة، ربما هذه هي طبيعة الحياة التي لم أصطدم بها يومًا.

حينما كُنت سارحًا في أفكاري تلك لمحتهم يقفون على الجانب الأخر في الظلام، الصامتون كما أسمتهم (نورا)، يسهل أن تستنتج من أجسادهم المخفي تفاصيلها في الظل أنهم أطفال، لكن سبب وقوفهم هنا غريب وغير مفهوم!.. لكني أخشى الاقتراب منهم أو التحدث معهم لسبب ما أنا نفسي أجهله، صوت الناي! يتنامى إلى مسامعي من مكان ما، ربما من كل مكان تقريبًا، أشعر بالنعاس، لم أنم جيدًا بسبب الكوابيس التي راودتني.. أتثائب.. لكن

لا.. لن استسلم للنوم.. يجب أن أبقى متيقظًا.

*****

طريق مستقيم.. مُضيء.. ينتهي بحائط سد يوجد به شيء ما.. أو شخص.. هذا هو المكان الذي وجدت نفسي فيه، أدركت بسرعة أنني غفوت أثناء الوردية وأحلم، أريد أن أستيقظ قبل أن أقع في أي مشكلة.. لكن كيف؟.. قررت أن أخوض الطريق علي أجد نهاية لهذا الحلم، حين أصبحت على قرب مناسب من الحائط

الذي ينتهي به الطريق تناهى إلى مسامعي صوت بكاء، فأدركت أن مصدره الشخص الذي يجلس عند الحائط، تقدمت أكثر بثبات لأتمكن أخيرًا من رؤية الباكي، كانت هي، فتاة ثلاجة المشرحة، جالسة مثل أول مرة رأيتها فيها، جلدها أزرق، العين يحل محلها فراغ أسود، الفم مخيّط بقسوة وأكاد أجزم أنا لحم الفم ممزق، وفي يدها، تمسك ناي خشبي بسيط الشكل، لم تنتبه لوجودي، فقد كانت تحاول أن تضع الناي في فمها لكنها الخيوط على فمها

تُعجزها، بكائها المكتوم داخل صدرها

جعلني لا أخافها هذه المرة، بل كُنت

متعاطفًا معها، حاولت أن أقترب منها

فقامت فجأة عن الأرض بشكل جعلني

أفزع وأعود إلى الخلف، نظرت إلى

عينيها فرأيت خطين من الدموع

الممزوجة بالدماء ينسلان من الفراغان في

وجهها، ولاحظت أيضًا الشق الكبير في

صدرها، توقف الزمن للحظات وأنا أنظر

إليها وشعرت أنها أيضًا تنظر إلي بعينين

خفيتين، لحظات مرت استدارت بعدها

موجهة وجهها إلى الحائط، قبل أن تخطو إلى داخل الحائط وتعبره لتختفي داخله، بقيت ثابت دون حركة أنظر إلى ما حصل الآن كالأبلة، ثم خرجت يدها بعدها من داخل الحائط وجذبتني إلى الداخل، عبرت من الحائط وكأنني أعبر مادة سائلة لزجة، وانقلب العالم رأسًا على عقب.

سقطت بعدها من اللامكان داخل شارع مُظلم لم أراه مُسبقًا، وفيه أشجار على الجانبين، نظرت حولي فلم أجد للفتاة وجود، لكن بدلًا منها وجدت حوالي خمس

أطفال جالسون على أحد جوانب الطريق، وبحوذتهم بعض الأشياء التي تباع في إشارات المرور، مناديل وورد وفل وخلافه.. كانوا سعداء، يتسامرون ويتضاحكون، قبل أن تظهر أمامهم فجأة عربة تُشبه عربات الاسعاف، وقفت وهبط منها بسرعة ثلاث رجال ضخام الجثة، أمسكوا ثلاث أطفال من الخمسة بعنف، وجروهم إلى العربة، وحين حاول أحدهم المقاومة قاموا بضربه على رأسه، وهددوا البقية بالسلاح، لم تستمر صرخات

الأطفال ومحاولاتهم للافلات طويلًا، فقد تم تخديرهم ليغيبوا عن الوعي، تم تعبئة أجساد الأطفال الثلاثة داخل العربية ثم ركب الثلاثة ورحلوا بالعربة تاركين وراهم طفل غارق في دماءه وسط الشارع، وطفل أخر تمكن من الافلات والهرب، استدرت حتى أهرب من ذلك المكان فوجدت نفسي أقف أمام المشرحة!

ضلفتي الباب كانتا مشرعتين عن أخرهما وكأن المشرحة تفتح ذراعها لتستقبل القادم في حضنها، صعدت درجات السلم نحو

الباب ودخلت وأنا مبهوت من ما رأت عيناي، وكأنني دخلت قبر وليس مشرحة، الأرض خالية من الملاط، فقط تراب، كتل من التراب المختلطة بالدماء المتجلطة، وفوق تلك التربة يوجد العديد من جثث الأطفال المفرغة، بعضها مفرغ من مُقل العيون والبعض من الأمخاخ أو القلوب وأعضاء أخرى، العامل المشترك بين تلك الجثث هو أن أفواهها قد تم تخيطها، إنها مقبرة جماعية.

أرى شخص ما يقف أمامي على بُعد أمطار وينظر إليّ بعينين مبيضتين، ويمتلك هيئة تشبه هيئة الشياطين والعفاريت في قصص أمي، لكنها أكثر شيطنة وإرعابًا، حاولت أن أفر من أمام هذا الشيء لكني اكتشفت أن قدماي قد غرزتا في التراب ولم أعد قادرًا على الحركة، لم أخاف، لم أفزع.. هذا حلم.. أنا أعرف أنه حلم.. وهم مجرد وهم.. سأستيقظ الآن.

لكني لم أستيقظ.. واقترب مني هذا الشيطان أكثر، وأنا أحاول الهرب دون فائدة، فجأة لمس شيء ما كتفي، هنا لم أستطيع التحمل وفقدت قدرتي على التماسك فشهقت وفقدت توازني.

*****

- انت ياعم.. ياجدع انت اصحى.

وجدت نفسي على الأرض وقد سقطت من فوق الكرسي الذي كُنت أجلس عليه بجوار باب المشرحة، وهناك رجل يقف أمامي

ينظر إلي بحيرة، نظرت إليه أنا الأخر بنفس نظرات الحيرة قبل أن أستدرك الموقف وأفهم أن الكابوس قد إنتهى.

استنتجت من ملابس الرجل أمامي أنه تابع للمستشفى، وما أكد استنتاجي ذلك عربية الاسعاف التي كانت واقفة، لكن لكن لماذا أشعر أن العربة مألوفة لحد كبير؟!

- ياعم.. قوم هنا ركز معايا.. أنا جاي بالعربية لوحدي ومحتاج حد يطلع معايا الجثة دي لفوق.

قالها الرجل بصوت عالي حتى ينبهني فهززت راسي وقمت عن الأرض بسرعة وأنا أعتذر له قائلًا: معلش والله مش مركز وغفلت شوية وأنا قاعد.

مع ابتسامة واسعة كشفت عن أسنانه الصفراء قال:

- "عادي ياباشا ولا يهمك.. كل اللي قابلك كانوا بيغرقوا في سابع نومة.. الدنيا برد هنا.. والمكان ينيم الصراحة."

هبطت درجات المشرحة وأخرجت معه الجثة التي كانت مغطاة بملاءة من العربة، ونقلناها إلى داخل المشرحة، كانت الجثة خفيفة، فكان من السهل حتى على شخص هزيل الجسد مثلي الصعود بها درجات سلم المشرحة والدخول بها إلى المبني، وبينما نقوم بعملية النقل تلك سألني الرجل بمرح:

- بس انت شكلك جديد هنا ورغم كده متهزتش يعني وانت بتنقل معايا الجثة زاي ما بيحصل ما الجداد في

الشغلانة دايمًا.. انت كُنت شغال مع الميتين قبل كده ولا ايه؟

ردت وأنا أحاول التظاهر بالمرح أنا الأخر:

- "مش شايف حاجة فيهم تخوف.. الأجسام دي أجسام بشر زينا، نايمين.. بس نومة طويلة شوية.. هما في النهاية بني آدمين زينا مش عفاريت.. بل كمان مسالمين أكتر من البني آدمين الصاحيين."

ضحك متعجبًا من كلماتي الغير متماشية مع قلة فصاحتي وقال:

- "الله!.. ده انت فيلسوف جامد.. بس تصدق عندك حق.. وكأن الروح دي ياأخي هي اللي فيها الوحش كله.. ما عفريت إلا بنآدم صحيح."
- "أنا مفهمش أوي موضوع الفلسفة ده بس أنا أمي الله يرحمها هي اللي كانت بتقلي كده دايمًا."

قال في آسى حاول ألا يجعله مصطنع:

- "الله يرحمها ويجعل مثواها الجنة"

أثناء نقلنا للجة وصعودنا به للطابق الثاني في المشرحة لاحظت شيء جعل قلبي ينقبض، صدر الجثة تحت الملاءة يصعد ويهبط، وكأنها حية وتتنفس!

قبل أن أنطق بشيء كان عم (محسن) في استقبالنا قبل أن نصل للطابق الثاني، كان يبدو على وجهه التوتر وهو يقول:

- "هات عنك يا براء يابني وإنزل انت مكانك قبل ما دكتور خالد يشوفك"

فعلت ما طُلب مني دون أنا أنطق بكلمة وكأن الكلمات تحتبس داخل صدري، هبطت إلى الأسفل وقبل أن أخرج من المبنى اصطدمت بالدكتور (خالد) يقف عند باب المشرحة وينظر لي نظرة غاضبة، نظرت إلى عينيه مباشرة نظرة ذات معنى، فابتسم بركن فمة ابتسامة ساخرة من نظرتي وتابع طريقه إلى أعلى وكأنني غير موجود، عدت إلى مكاني أفكر في كل ذلك واستنتاجات عديدة تقفز إلى عقلي، يجب ان أخبرك عم (محسن)

بما أشك فيه، ربما يملك الإجابات على أسئلتي، خلال دقائق هبط الرجل الذي كان ينقل الجثة معي إلى الأعلى وألقى عليّ السلم فلم أرد، فلقد انشغلت بالنظر إلى الأطفال الصامتون الواقفون على الجانب الاخر من الطريق، ربما لا أحد يرأهم غيري.

تحرك الرجل بعربة الاسعاف وأضاء كشافها الأمامي وتوجه إلى الطريق، وأثناء تحركة على الطريق كشفت أضواء الكشافات عن ملامح الاشخاص الواقفون

في الظلام، الصامتون.. فرأيت وجوه يحل محل العيون فيها فراغ أسود، وأفواه مخيطة بخيوط سوداء، وجوه تجمع بين البراءة والبشاعة، ابتعدت العربة وابتعدت معاها الأضواء فاختفى الصامتون.

- فهمت مين هما الصامتون ولا لأ؟

*****

## ٥-أنــين

- فهمت مين هما الصامتون ولا لأ؟

هي كالعادة.. تظهر فجأة من اللامكان، تنظر في عينيّ ببراءة، ما هي بالضبط، هل هي طفلة حقًا.. أم لعنة.. أو شيء أخر.

رددت على سؤالي الذي طرحته بسؤال أخر:

- "هو مفيش حد شايفهم ولا ايه؟"

قال:

- "لأ.. مش أي حد يقدر يشوف اللي انت بتشوفه.. مش أي حد يقدر يسمع نداهم.. إلا لو كانت روحه طاهرة وشفافة زيك."

- طب هما عايزين مني ايه بردو؟(سألت)

- هما عايزين بس حد يسمعهم.. حد يعرف حكايتهم.(ردّت)

أثناء حديثي معها لمحت في يدها شيء.. ناي خشبي بسيط الشكل، فارتجفت

أوصالي وسألتها وقد زاد التوتر من تقطع حروفي:

- "الناي ده بتاعك؟"

- "كنت بعرف أنفخ فيه وأطلع ألحان حلوة.. بس دلوقتي مبقتش أقدر."

تردد قليلًا قبل أن أخبرها بالآتي:

- "يعني مبتعرفيش؟.. أصل بيتهيألي دايمًا إني بسمع صوت ناي في المكان هنا وحتى في أحلامي."

تابعت الكلام بنفس أسلوب الحوار الغامض الذي لا يصدر عن طفلة أبدًا:

- مش شرط حد ينفخ فيه علشان نسمع صوته.
- إزاي يعني؟!(سألت مستغربًا كلامها الغير مفهوم فمدت يدها بالناي نحو وقالت)
- " أقصد إن صوت الناي شبه صوت الأنين.. الأنين لأرواح موجوعة مش قادرة تصرخ.. حتت خشب لكن بتجسد ألام البشر.. الناي لغة

مبيفهمهاش أي حد.. وطول ما في أرواح موجوعة.. هيفضل صوت الناي موجود يعبر عن أنينهم"

أنهت كلامها ثم أسقطت الناي من يدها على الأرض، فبغتتني الحركة وتحرك جسدي بشكل تلقائي لإلتقاط الناي عن الأرض، أمسكته ورفعت مقلتاي نحوها من جديد فلم أجدها.

هذه المرة وعكس كل المرات لم تختفي تمامًا، بل نادتني من داخل مبنى المشرحة وقالت:

- "مش هقدر أقولك حاجة.. لازم تشوف بنفسك."

لم تمهلني وقت للرد أو التفكير، فقد جرت ناحية السلم داخل المشرحة وصعدت نحو الدور الثاني، فتسمرت في مكاني للحظات أفكر في ردت الفعل التي يتوجب علي أخذها، وجدت نفسي أجري محاولًا اللحاق بها قبل أن يرأها أحد، كانت تقفز كالأطفال فوق السلالم وأنا أحاول اللحاق بها لكن بلا فائدة، كانت أسرع مني، اختفت من مجال بصري، فحاولت أن أزيد

من سرعتي محاولًا تتبعها، كُلما وصلت لممر أجدها تجري في أخره، أحاول أن الحق بها لكني بالكاد أرها، إلى أن قادني الجري في النهاية إلى الثلاجة.. وقد كان بابها مفتوحًا!

هل يعقل أن تكون هي من تسلل إلى هنا!.. أم أنه الدكتور (خالد)؟.. كان يجب عليّ أن أتأكد أنها ليست هناك، يجب أن افهم ماذا تريد تلك الفتاة الغبية وفي ماذا تفكر؟

دلفت إلى المشرحة بعد تفكير استمر لدقيقة، لأجدها واقفة وكأنما تنتظر

دخولي، بمجرد أن رأتني أشارت لي نحو سرير معدني يتوسط الثلاجة فتحركت مقلتاي بشكل تلقائي إلى حيث أشارت لأجد فوق السرير جثة لطفل صغير.. جثة ساعدت في حملها قبل قليل، لم يكن ذلك أغرب شيء فيما رأيت، فقد أحاطت السرير دائرة مرسومة بمادة سوداء اللون أجهل كُنهها، للدقة كانتا دائرتين، وبينهما وجدت العديد من الرموز التي لا تُشبه أي حروف أبجدية عرفتها خلال الفترة التي قضيتها في المدرسة حين كُنت طفلًا،

بالإضافة إلى إثنتا عشر شمعة تم رصهم بمسافات متساوية فوق الدائرتين، بقيت لوقت غير معلوم تائه في هذا المشهد الذي لم أرى له مثيل، قبل أن أفوق من دهشتي لأمد يد نحو (نورا) وأطلب منها بصوت مرتجف:

- "هاتي ايدك ويلا نخرج من المكان الوحش ده."

لم تتحرك من مكانها، بل ظلت ثابته تنظر لي دون أن يطرف لها جفن، فقط شفتيها تحركتها وخرج من بينهما صوتها يقول:

- "المكان دده مش وحش.. المكان ده ملعون"

فجأة حصل ما لم يكن في التخيل أو الحسبان، لقد بدأ شكلها في التغير، مقلتيها تغوصا تدريجيًا داخل وجهها، وليحل محلهما الفراغ، الخيوط السوداء تخرج من لحم وجهها دودة تخرج من داخل تفاحة عتنة لتلتف حول شفتيها فتحيطهما في بعضهما البعض، قبل أن يزرق جلدها، وتظهر العديد من الجروح المنتشرة على

طول أطرافها، وينتهي الأمر بالشق المظلم في قلبها.

إنها هي.. الطفلة التي أرها في كوابيسي.. هي ذاتها (نورا)!

تجمدت في مكاني لا أدري ما ردت الفعل التي عليّ أخذها، أأصرخ؟.. أم أهرب؟.. هل ستئذيني؟.. أم ستتركني؟ لكنها لم تتركني لأفكر مطولًا.. فقد تحولت فجأة إلى ضباب ثم اختفت.

شهقت لأعبئ الهواء إلى داخل رئتيّ.. ثم زفرت بهدوء وقد قررت أن أجري بأقصى ما عندي من سرعة خارج هذه الغرفة وهذا المبنى وألا أعود أبدًا.

بمجرد أن أخذت القرار، تناهى إلى سمعي صوت عم (محسن) وبرفقته الدكتور (خالد) فتجمدت في مكاني من جديد، يبدو أنهم يتوجهون نحو المكان هنا وبينهم وبينه خطوات معدودة، لم يكن أمامي الوقت لأفكر في أي حلول مبتكرة للهرب.. عليّ التخفي حتى لا أتعرض لأي

نوع من الأذى، قادني تفكيري حينها لسحب الملاءة البيضاء التي وجدتها بجوار السرير المعدني على الأرض ثم جلست في زاوية مظلمة من زوايا الثلاجة، وغطيت جسدي بالملاءة معتمدًا على ضآلة جسدي وإضاءة المكان الخافتة ليخفياني عن الأعين.

قلبي يدق بسرعة، جسدي يرتعش من البرد، أشعر بمجموعة من المشاعر البغيضة والغير مريحة، يارب.. أريد أن أذهب إلى البيت.

توقف صوت خطوات الدكتور خالد عند باب الثلاجة، فعرفت أنه هنا، سمعته بعدها يطرق على جسد باب الثلاجة المعدني، مرة.. واثنتين.. وثلاثة.. وكأنه ينتظر أن يرد عليه أحد أو يعطيه إشارة السماح بالدخول.

دخل إلى المكان، وتوجه إلى السرير المعدني الذي تسطحت عليه جثة الطفل، الجثة التي أعتقد أنه ليست جثة.. دار حول السرير بتؤدة مرتين ويده في جيب البالطو، قبل أن يُخرج موقد غاز صغير

من جيبه، وينحني على الشمعة تلو الأخرى ليشعل فتيلها، ربما يكون ذاك الشمع هو الشيء الذي تعثرت فيه أول مرة دخلت إلى هنا.. بعد أن إنتهى من تلك العملية أصبحت الإضاءة داخل الثلاجة قوية جدًا وخشيت أن يكشف ذلك عن مكاني، دقات قلبي تصبح أقوى وأسرع للدرجة التي جعلتني أخشى أن يفضح صوتها مكاني.

أغلق الدكتور (خالد) أي مصدر للضوء بخلاف الشموع، ثم كشف الغطاء عن

حامل معدني للأدوات الطبية أو هكذا خمنت، ثم حمل من فوقه أداء ما لا أفهم الغرض منه، تحرك بعدها إلى داخل الدائرة ووقف جوار الجسد المسجي قبل أن يدسها بين فكي الفتى ليستخدمها في فتح فم الفتى عنوة، بعد أن قام بتلك الخطوة، عاد إلى الادوات وحمل في يده أداءتين، واحدة تشبه الكماشة، والثانية هي أقرب إلى مقص حاد ولامع، عاد إلى الطفل مجددًا ثم وبيده اليسرى وضع الكماشة داخل فمه ليسحب لسان الفتى إلى

الخارج، قبل أن يقترب بالمقص في يده اليمنى ليفعل أخر شيء كُنت أتخيل أن أراه، لقد قصّ لسان الفتى!

لا زلت أتذكر صوت القص، اللحم وهو يتقطع، وينفصل عن بعضه البعض، البرود والقسوة اللتان كان يتعامل بهما دكتور خالد مع الأمر، اللسان المقطوع بعد أن انفصل تمامًا عن جذوره وبلا رجعة، والدماء التي استقرت فوق يد الطبيب، واللسان الذي كان صغير ولينًا كقطعة لحم طازجة، والطريقة التي رمي

بها اللسان بعيد على أرض الثلاجة وكأنه قمامة، لم يكن هذا كله سوى جزء من ملحمة كاملة من البشاعة، فقد أحضر خيط أسود، مع ابرا طبية، وشرع في غرز الابرا في لحم وجه الفتى، يمررها كامله داخل لحم الفتى غير مهتم بالدماء التي تنز منه، ثم وبخفه يغرزها في الشفه السفلية من الداخل ليخرجها من الوجه، ويعيط غرزها في لحم الشفة العليا من جديد، لتتكون الغرزة تلو الأخرى تلو الأخرى، وكأنه يخيط قطع في قطعة ملابس!.. لم

ترتعش يده للحظة أو يهتز.. كان يغرز الابرا بقوة وهدوء متجاهلًا تمامًا فكرة أنه لحم آدمي، المشاهدة فقط جعلت عضلات جسدي ترتجف بشكل لا إرادي.

بعد أن إنتهى من خياطة الفم بعدد كبير من الغرز التي تنزُ من مواضعها الدماء، آتى بحقنه تحتوى سائل شديد الصفرة، وبخفة حقن السائل في ذراع الجسد الصغير، ثم ألقاها بعيدًا ووقف ينظر للطفل، خلال الثوان التالية لاحظت أن أصابع يد الفتى ترتجف، إنه حي!

بعد مرور بضع ثوان أخرى فتح الفتى عينه وانتفض جسده بالكامل، وسمعت أنينه الذي يعطيك إنطباع بكونه صراخ مكتوم، لقد بدا يستعيد الاحساس بجسده، إنه يشعر الآن بالخيوط المغروزة في لحمه، ضغطت على أسناني وتقلصت ملامح وجهي وأنا أحاول تخيل مدى الألم الذي يتعرض له الفتى الصغير الآن، كُنت أجاهد حتى لا أصرخ من هول ما سمعت ورأيت حتى لا يُكشف أمري فتكون نهايتي مرعبة.

ابتسم الدكتور (خالد) ابتسامته الساخرة السخيفة، وهو ينظر إلى الوجه المتألم فوق السرير المعدني.

- "متخفش.. أوعدك هتحس بكل حاجة.. هحاول أوصلك الألم بأنقى صورة ليه.."

ما حصل بعدها لا يمكن وصفه بالكلمات، لقد كان كل ما سبق مجرد مقدمات لملحمة لا تنتهى من الألم الغير محتمل، ألم شعرت به كمشاهد فقط فما بالك بمن يُفعل فيه ذلك، لقد رأيته يستئصل مقلتي العين

بحرفية، ثم يتبع ذلك بشق الصدر، وأثناء ذلك يقوم بجرح أطراف اليدين والقدمين بالمشرط الحاد دون هدف محدد، وكأنه يفعل ذلك لمجرد التسلية، أنين الفتى لا يتوقف، والدماء لا تكف عن الانسلال من كل شبر في الجسد من أثر الجروح المتفرقة به، كُلما فقد الفتى القدرة على التحمل وفقد الوعي، كان (خالد) يعيده إلى وعيه عن طريق حقنه بسائل ما لا أدري ماهيته، لقد كان الوغد ماهرًا في تعذيب

ضحيته والمحافظة عليها مستيقظة وحية لاطول فترة ممكنة.

انهمك ينشر عظام القفص الصدري بهدوء وروية دون اهتمام بالطفل المُعذب أمامه، وُكلما إنتهى من نشر ضلع يقوم بنزعه من مكانه ورميه على الأرض، شعرت في تلك اللحظات أن الجسد بدأ يهمد، يبدو أن الفتى يموت، لقد استسلمت روحه وكفت عن المقاومة، أدخل (خالد) يده بالمشرط داخل الصدر وبدأ في اسئصال شيء ما لا أراه، قبل ان يُخرج يده من داخل الصدر

ليهمد جسد الفتى نهائيًا، رفع محتوى يده الغارقة في الدماء إلى أعلى فتبينت شيء رجراج في حجم قبضة اليد لونه أحمر.

لهب الشموع يتعالى تلقائيًا وكإنما يحتفل بما حقق ذلك المخبول، ثم نطق أخيرًا ذلك السفاح قائلًا:

- " ايها المعظم بين الشموس والأفلاك.. يا وارث الأرض والحرث والنسل.. ها أنا أقدم لك أضحيتي فاقبلها كما قُبلت أضحية هابيل.. وكما قطم آدم الثمرة

المحرمة.. ها أنا اليوم أقطم ثمار الحياة رضاءً لك.. فأمنحني الخلود والشباب الأبدي.."

ثم قرب يده التي تحمل الشيء الذي استنتجت ما هو إلي فمه، وشرع يقطم منه قطمة كبيرة.

في تلك اللحظة لم يعد ينتابني أدني شك انني أنظر إلى الشيطان، الشيطان كما حكت لي أمي عنه، وقررت حينها أن عليّ المخاطرة، سأهرب.. سأخرج من أسفل تلك الملاءة وأهرب بكل ما أتيت من

سرعة، الباب قريب مني، هناك فرصة لا باس بها في أن أنجح.. بدون تفكير مطول اندفع جسدي من أسفل الملاءة نحو الباب بسرعة، وفي أقل من ثانية كُنت أقفز خارج الثلاجة، وأتوجه نحو نهاية الممر دون أن أنظر للحظة خلفي.

شيء ما اخترق ظهري.. ألم بسيط. أتابع العدو دون أن ألتفت لكني أشعر ببعض التشويش في الرؤية.. الأرض تميد من تحتي، لم تعد حركاتي متزنة.. أتعثر.. أسقط.. الرؤية لم تعد واضحة بالمرة..

شخص ما يقترب نحوي.. لم يكن دكتور (خالد).. أركز أكثر.. شعر أبيض.. ملامح طيبة مألوفة.. أيمكن أن يكون!

وعيّ ينسل مني.. لم أعد أستطيع المقاومة.. فاستسلمت للنوم وأنا أهذي بكلمات غير مفهومة.

- "اانت... عـ عـ عـ م.. مـ مـحسسسسسـ

*****

## ٦- شيــطان

فتحت عيناي على مشهد أعرفه جيدًا، سقف الثلاجة كما رأيته في كوابيس، حاولت أن أحرك يداي لأجدهما مقيدتان كما توقعت، الصورة تُصبح أوضح، لقد أدركت الشرك الذي أنا واقع فيه، فجحظتا حدقتاي من هول ما ورد في عقلي من أفكار سوداء، وشعرت بانقباضه في قلبي، بلعت ريقي ببطيء ورعب وكأنني أبلع صخرة، لم أحس بطعم الدماء الصدئة في حلقي، فاطمئننت قليلًا، وحاولت أن أفرج

بين شفتاي ببطيء، فلم أشعر بأي ألم، لا خيوط حول شفتاي، حمد الله في سري واطمئن قلبي للحظات قبل أن ألمحه بهالته الشيطانية يقترب مني وفي يده مقص.. المقص الذي قطع به لسان الطفل الصغير.

- "هو في ناس لسه بالسذاجة دي؟.. كنت فاكر إنك هتقدر تهرب بالسهولة دي بعد ما عرفت أكتر من اللي المفروض تعرفه.. وبعدين تفتكر إني مكنتش عارف إنك موجود معايا في المشرحة وجو التلاجة؟!.. أنا كنت

سايبك علشان تشوف بروفة للي هيحصلك.."

قال الدكتور (خالد) كلماته تلك قبل أن يبتسم بركن فمه ثم استطرد:

- "أنا مبقتلش اللي في سنك وأتغذي على قلبهم.. لأنهم مش مفيدين ليا في الطقوس بتاعتي، بس انت متفرقش عن العيال الصغيرة حاجة.. ده انت حتى جسمك صغير زيهم، أفتكر ممكن السادة يقبلوك كقربان.."

نطقت أخيرًا ولكن بصعوبة شديدة ولساني يرتجف أكثر من المعتاد:

- "انت مين بالظبط؟"

أضحت ملامحه أكثر إرعابًا وهو يرد:

- "من حقك تعرف طبعًا قبل ما تموت."(اقترب من أذني وهمس)"أنا رسول سيد العالم الحقيقي اللي عاش وأنقذ البشر بحكمته وذكائه قبل ما فصيلك يفسد كل شيء."

- "وانت مش منا!"(سألته متعجبًا)

- "مستحيل.. أنا من الرسل المختارين.. الموعودين.. المكلفين بالانتظار لحين عودته علشان يورث الأرض وأورثها أنا واللي زاي معاه ويخدنا معاه لجنته اللي وعدنا بيها.. أنا خالد.. على عكسك يا فاني."(أجاب)

قلت مستهجنًا الفكرة:

- "مفيش حد يقدر يعيش علطول.. اللي بتقوله كدب ووهم."

- "صح.. محدش يقدر فعلًا يعيش خالد علطول في نظر المجتمع.. لازم يعجز ويصبغ شعره ويمثل إنه مات.. ويظهر تاني على أساس إنه ابن اللي مات.. يتاجر في الأعضاء.. أعضاء أطفال الشوارع اللي محدش هيلاحظ اختفائهم أو يسأل عليهم، وبالمفلوس والنفوذ اللي بتدهملي تجارة الأعضاء.. كل شيء ممكن.. وخصوصًا لما يبقى عمرك أكتر من ١٥٠ سنة.. بتبقى كل حاجة ممكنة."

كان كلامه فوق حدود استيعابي، لم أكن أفكر حينها فقط سوى في ما ينتظرني من عذاب على يده، وبشكل تلقائي بدأت أزرف الدمع، وسألته بصوتي المتقطع الذي زاده بكائي تهدجًا:

- "انت عايز تعمل فيا ايه؟!.. أرجوك بلاش تئذيني."

في هذا المرة تعالى صوته بضحكة منتشية، انهمك في ضحك طال حتى أن عينيه قد اغرورقتا بالدموع من شدة الضحك وبعد أن أنهائها قال:

- "هعمل فيك نفس اللي عملته في اللي كان شغال قبلك.. أصله كان غبي برضو.. حاول يعرف أكتر من اللي المفروض يعرفه حاول يعرف أكتر من اللي المفروض يعرفه.. كان واعي لكل حاجة عملتها فيه.. عاش مراحل الألم لحظة بلحظة.. واتباعت كل حتة منه بسعر.. ومفضلش منه غير حبة عضم ولحم."

أنهى كلامه ثم علا صوته فجأة بالنداء:"محسن"

دخل عم (محسن) من باب الثلاجة وعينه في الأرض يحاول أن يبعد نظره عني، حاولت أن أكذب عيني، كما فعلت حين رأيته بعد أن غرز المحقن في جسدي، لكنه هو.. بلحمه وشحمه.. يمكن بوضوح رؤية الخجل والانكسار والضعف على ملامح وجهه، قال عم (محسن) بصوت شعرت فيه الصدق والندم:

- "معلش يابني.. مكنش نفسي يبقى ده مصيرك.. كان نفسي تفضل في حالك.. أصلك متعرفش هو ممكن

يئذيني أو يئذي عيالي وعيال عيالي إزاي.. أنا مش وحش يابني.. والله أنا مش وحش."

ظهر الغضب على وجه (خالد) وقال:

- "مساكين.. وانتوا مصدقين ومخدوعين في وهم الإله اللي بتحلفوا بيه.. الأله اللي سابكم للعذاب وحرمكم من جنته... الإله الحقيقي هو.. وقريب أوي هيرجع"

أنهى كلماته ثم قام بغرز المبضع الطبي في ذراعي فتألمت صارخًا، لكني لم أسمع صوت صرختي.. بل صوت الناي!

غرز المبضع في مكان أخر في ذراعي.. وبدأ في عمل جرح قطعي كبير.. فتألمت.. صرخت.. سمعت الناي.. ورأيت هالة شيطانية سوداء تحيط بجسد رسول الشيطان.

- "صوت صرختك مَزعج.. ما تخلينا نزود الأمور متعة شوية.. هخليك تحس بكل مراحل الألم."

قال هذا ثم أمسك بالأداء التي يستخدمها في فتح أفواه ضحاياه بيد وباليد الأخرى أمسك مقص، نفس المقص الذي رأيته يستخدمه في قطع لسان الفتى الصغير، قام بحشر الأداء في فمي عنوة، وحاول تثبيت فكي في وضع مفتوح لكني قاومت، قاومت وحركت وجهي يمينًا وشمالاً، فزاده ذلك غضبًا وقوة، فجثى فوق صدري، وأحكم تثبيت رأسي بكتفي وساعده، ثم دب أصابع يده الغليظة في فمي وغرز أظافره في لساني ليجذبه إلى

الخارج، جزّ على أسنانه في غل وحاولت أنا الاستمرار في المقاومة، ابيضت عيناه فجأة وزادت قوته وقوة ضغطته على أسناني، فلم أستطع المقاومة تحت ضغط الألم أكثر، وخفت أنا ينتزع حلقي بدلًا من لساني، استسلمت.. وسمعت صوت اللحم وهو يُقص، ألم العالم كله تجمع في لساني في تلك اللحظة، اتسعت عيناي ولم أعد أشعر بالعالم، لم أصرخ أو أحاول الصراخ، كان ألم اللحظة أكبر من أن أعبر عنه، وفي عمرة ألمي رأيتهم، رأيت

الهالات السوداء تلتف حول المشهد.. الصامتون.. وبينهم كانت (نورا) تقف، الدماء تتسرب إلى حلقي بهدوء، وأنا أبتلعها باكيًا.. كُنت أبكي بدون صوت.. أو حتى دموع.

كان الشيطان يلهث بجوار السرير بينما ينظر إلى الجزء الذي قطعه من لساني ويبتسم:

- مش فاكر أخر مرة حد تعبني كده وأنا بقطع لسانه.

قال الشيطان كلماته تلك قبل أن يرمي لساني على الأرض وسط ظلام الغرفة،، ويتجه نحو الابرا الموضوعة وسط أدواته، امسكها وتوجه نحوي وهو يثرثر كعادته:

- أنا مش بخيط بُق الأطفال علشان ميصرخوش.. محدش أصلًا هيسمعك هنا مهما صرخت.. أنا بزيد ألمهم.. بتفنن في تعذبهم.. الألم بيزود عمري.. وبيزود رضاه عني..

حالما أنهى كلماته كانت الابرا قد اخترقت لحم شفتاي، فعاد الألم من جديد، لكن كان أقوى من كل مرة، وكأنه غرز ألف ابرا في وجهي دفعة واحدة، أغمضت عيناي بقوة.. وفي لحظات بسيطة رأيت ما يحصل معي الآن وهو يحصل لعشرات الأطفال، شعرت بألامهم وأوجعاهم ورأيت وجوههم الصارخة المليئة بالخيوط، لكني لم أسمع صراخهم بل سمعت.. الناي.. الناي..

فتحت عيناي فأحسست الألم وقد توقف، ورأيت ظلال الصامتون تقيد حركة الشيطان الذي يسيطر على جسد هذا الملعون، لا أعرف إذا كُنت واهمًا أم لا.. لكني شعرت لوهلة أن أبي وأمي يقفون بين تلك الأرواح الغاضبة التي تقيد حركة الشيطان.

لم يكن ليستمر هذا طويلًا، أعرف أنه سيتمكن من التحرر منهم في أي لحظة، لو كانوا قادرين على إيقافه لأوقفوه قبل زمن، لكنها مجرد محاولة عبثية، بالفعل

بدأ يتحرر من بين أيديهم، صرخ بغضب فبدأت أشباح الصامتون في التراجع، وبدا أنه قد تحرر من بين أياديهم الشبحية، في اللحظات التالية حصل شيء خارج توقعي، رأيته يسقط على ركبتيه، ليظهر من خلفه عم محسن حاملًا محقنًا قد تم افراغه بالكامل في جسد الشيطان.

حاول الدكتور (خالد) أن يستدير وينال منه لكن جسده وهن وسقط على الأرض، عبر عم (محسن) من فوق جثة الشيطان

وأمسك بالمبضع وشرع يقطع القيود الجلدية حول أطرافي بينما هو يعتذر:

- أنا أسف يابني.. سامحني أرجوك.. أنا دايمًا كنت بعتبرك زاي ابني.. أنا كُنت خايف ومجبر.. سامحني.

بمجرد أن تحررت، أمسكت يده وقمت عن السرير المعدني متجاهلًا كل ألامي، وجذبت عم (محسن) حتى نخرج من ذلك المكان، لكن وقبل أن نتحرك تعثر وصرخ، فنظرت بسرعة نحو مُوضع سقوطه لأجده ساقطًا على الأرض ودكتور

(خالد) فوق جسده يشق صدره بمبضع كبير كالسكين، توقفت أمام المشهد لثوان وقد تجمدت في مكاني، فرفع الشيطان عينه ونظرت في عيني مباشرةً فاخترقت نظراته روحي، كان إبليس نفسه يُطل عليّ من عيني (خالد):

- انتوا إزاي تتجرؤا عليّا.. أنا رسول الألم.

قفز كحيزان بري نحوي موجهًا طعنة خاطفة نحو قلبي، فتمكنت فتمكنت بكل ما وهبني الله من سرعة من تفاديها وساعدني

على ذلك حجمي الضئيل، لمحت المقص الذي قطع به لساني على الأرض، فوجهت جسدي حتى يسقط نحوه، في ثانية كُنت أمسك المقص بينما هو يحاول معاودة الهجوم، وفي الثانية الأخرى لم أشعر بنفسي إلا وأنا أوجه المقص إلى رقبته وأطعنه بكل قوتي، لأسمع صوت صرخاته وهي تتحول إلى حشرجه، وفي ذات الوقت سمعت أصوات صرخات لعشرات الأطفال، صرخات ظلت حبيسة تلك الغرفة لسنين، لم أنتظر لأعرف ما

الذي حصل له، فلقد تركت المقص في رقبته، وهربت، جريت خارج الثلاجة.. ثم الممر.. ثم المشرحة بالكامل، ومن خلفي سمعت صوت صرخاته مصحوبًا بصرخات الأطفال، صوت لا يمكن أن يكون لآدمي:

- "أنا مستحيل أموت.. أنا خالد.. خاالد.. إلى أبد الأبدييين."

*****

مرت شهور على ذلك اليوم في المشرحة.. لم أعد إلى بيتي حتى الآن، لا أعرف ما الذي حصل بعدها ولم أحاول أن أعرف، ولست على يقين من موت دكتور (خالد)، في الوقت الحالي أنا أعيش في الشوارع، مثل ناس كثيرون لم يجدوا لهم ملجأ سواها، شاب ضئيل أخرس يتمتع بقدر من العبط لا بأس به، هل هناك مؤهلات أفضل من تلك تؤهلك للعمل كمتسول!

أنا فقط أعيش على أمل أن أجد يومًا ما الطريقة لإصال حكاية الصامتون للناس..

الصامتون وكل الأطفال من أمثالهم، أطفال بالألاف يسرحون في الشوارع، مصيرهم مجهول ومستقبلهم مُظلم.. يختفي منهم في كل يوم العشرات.. يُقتلون أو يُشرحون لتباع أعضاءهم في المزادات الشيطانية، وينضم بدلًا منهم للشوارع المئات.

كل يوم يزورني أبي وأمي في أحلامي، وحتى في صحوي أشعر بيد أمي الحانية

فوق كتفي، قريبًا سأنضم لهما.. أشعر بذلك.. لكن أتعرفون؟.. حتى اليوم لا زلت أراها.. لكن الخيوط لم تعد تحيط بفمها، واختفت الشقوق والجروح من جسده، أخر مرة رأيتها فيها كانت مبتسمة.. وكان الناي بيدها، ناولته ليّ.. فتناولته، استدارت وغادرت.. وحين استيقظت وجدت الناي في يدي.. بالممارسة تعلمت العزف عليه.. ارتبطت به وأحببته، وأدركت ما كانت تعني حين وصفته قائلة:

" صوت الأنين لأرواح موجوعة مش قادرة تصرخ.. حتت خشب لكن بتجسد ألام البشر "

*****

# خاتمة

انتهت حكاية الصامتون عند هذا الحد..

ولا تسألني عن الكيفية التي كتب بها (براء) الحكاية أو كيف وصلت إلى ملفات الإنترنت المُظلم.

لم يكن الدكتور (خالد) سوى مجرد قطعة شطرنج.. تحركها ذراع من مئات الأذرع التي تتبع كيان واحد.. كيان مسئول عن ٩٠٪ من الأنشطة المحرمة في العالم..

كيان يخدم سيد أسعى جاهدًا لمعرفة ماهيته وسره.. ولن أكف عن البحث.

لدى أنا شخصيًا حكايتي الخاصة مع تلك المنظمة والتي سبق وكتبتها كاملة وسمعها وقراءها الألاف.. ابحث عني إذا شئت.. لكن أنت المسئول الأول عن ما سيصيبك حين تعرف الحقيقية[٢].. الحقيقة ورائي.. وراء ذلك العالم بس.. ووراء منظمة الـ B.C.H

إمضاء: الناسخ

[2] تم نشر الحكاية الكاملة للناسخ والمنظمة في رواية (الناسخ"الإنترنت المظلم") مع دار إبداع للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع، تجدونها في المكتبات أو يمكن طلبها من الدار

للتواصل مع الكاتب والتعليق برأيك في

النوفيلا:

https://www.facebook.com/a7mad.moss3d

أو الإيميل:

A7MAD.MOSS3D@GMAIL.COM

إذا أعجبك العمل ادعم بعمل شير للينك الكتاب وأرسله إلى أصدقائك

# أحمد مسعد (المدون)

مواليد القاهرة

١٩٩٧م، طالب بكلية

الفنون الجميلة

جامعة حلوان الفرقة الثالثة بقسم

الجرافيك، شعبة الرسوم المتحركة وفن

الكتاب.

كاتب قصصي وروائي اشتهر بكتابة قصص الرعب الإذاعية في العديد من البرامج أشهرها برنامج كلام معلمين.. رصيده من القصص الإذاعية ٢١ قصة بالإضافة إلى ملفات التجارب الحقيقية أهمها (ثلاثية بلا عودة، خادم الشيطان، الراصد، العهد القديم)

صدرت روايته المشتركة الأولى مع الكاتب سامي ميشيل (خطايا آدم) في معرض القاهرة للكتاب ٢٠١٨.. ثم لحقتها روايته الثانية وعمله المنفرد الأول (خلف ستار الموت) في صيف ٢٠١٨.. وحقق العملان نجاحًا ملحوظًا.

صدرت له رواية الناسخ(الإنترنت المظلم)

معرض الكتاب ٢٠١٩ ولاقت استحسان

كبير.

ثم رواية في فئة الرعب الساخر بعنوان

(توكتوك من الجحيم) صدرت عام ٢٠١٩

أيضًا عن دار إبداع.

أسس فريق (المخوفاتية) عام ٢٠١٧ مع

الكاتب سامي ميشيل، وقام فريقه بعمل

وتنظبم العديد من الإيفينتات المرعبة في

القاهرة والعديد من محافظات مصر

وجامعاتها.. بالإضافة إلى كُتب

المخوفاتية المجمعة للكتاب الشباب.

## شكر خاص إلي

المخوفاتية

سمر سعيد

الكاتبة بدر رمضان

د.عيد إبراهيم عبدالله

إلى كل قراء العمل